*** علم السنّة وإمامها.. رمز الهوّية الإسلامية والسلفية.. شيخ المحدّثين.. مجدّد العصر.. ومحدّث ديار الشام.. فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

إن للّه رجالاً مؤمنين يحفظ اللّه بهم الأرض، بواطنهم كظواهرهم بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلى، وهممهم عند الثريا بل أعلى، تحبُّهم بقاعُ الأرض، وتفرح بهم أملاكُ السماء.

❑ قال الشيخ ابن باز يومًا في الشيخ: «ما رأيت تحت أديم السماء عالمًا بالحديث في العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني»[1].

❑ وبعث إليه الشيخ محمد الغزالي في رسالة: «بسم اللّه الرحمن الرحيم.. الأخ الكريم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، نذكركم على البعد؛ فنذكُر الرقابة الدقيقة على السُّنَّة المطهَّرة، والغيرة المحمودة على معالم الإسلام الحنيف، والجهاد العلمي الموصول في ميدان قلَّ فيه الرجال، واحتاج إلى أُولي النجدة والنضال. فجزاكم اللّه عن دينه خير الجزاء، وآنسكم في هجراتكم المتتابعة من قطر إلى قطر، وأنت خبير بأن أنصار اللّه في هذا العصر لا يستقرُّون على حال، وأنهم عُرضة للمتاعب الثِّقال..».

❑ وقال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق شيخ علماء الكويت: «كان ناصر الدين ـ وما زال ـ كالمطر لا يُبالي على أي أرض سقط.. عالم من علماء المسلمين، وعَلَمٌ من أعلام الدعوة إلى اللّه، وشيخ المحدِّثين وإمامهم في العصر الراهن.. ألا وهو أُستاذي محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه اللّه

(١) «الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه» لمحمد بن إبراهيم الشيباني (ص٦٥ ـ ٦٦)، الدار السلفية بالكويت.

وبارك في عمره.

ناصر الدين الذي لا يكاد يجهله مسلم يهتم بأمر الدعوة إلى اللَّه في العصر الحاضر، ولا يستطيع أن يستغني عن مؤلَّفاته وتحقيقاته طالب علم معاصر؛ فمعظم الكتب العلمية التي يتداولها الناس الآن مصدَّرة بتحقيقاته وتخريجه لأحاديثها، وطُلاب العلم الذين نقلوا علمه، وتتلمذوا على يديه، وتربّوْا في حلقاته وصُحْبته، لا يُحصون كثرة، وهم منتشرون في العالم الإسلامي أجمع على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم.

وقد قام ناصر الدين بنشر العلم الشرعي بكل طاقته في كل اتجاه.

❑ ويرى الشيخ ناصر الدين أن المنهج السلفي لفهم الدين، هو المنهج الكفيل بعودة المسلمين إلى الدين الحق؛ عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقًا. وناصر الدين لا يهمّه أن يحمل هذا المنهج السلفي أي أناس تسمَّوا بأي اسم، كلُّ هَمِّه أن يُفهم هذا الدين فهمًا صحيحًا، وأن يُطبَّق تطبيقًا سليمًا، وأن يكون سير الناس مبنيًّا على الكتاب والسنة الصحيحة. والشيخ ينهى عن التَّحَزُّب والعصبية بأي لونٍ وأي شكلٍ ويرى أن نهضة المسلمين منوطة بتعاونهم جميعًا، وتضافُر جهودهم، وتوجُّهها في كل اتجاه نحو بناء العقيدة أو تصحيح العمل أو مقارعة الباطل.

❑ وأخذ ناصر الدين نفسه بقول كلمة الحق حيثما قدر على ذلك، وقام بنقد الآراء الإسلامية التي يراها مُجانبة للصواب والحق وتصحيحها.. لا يُجامل في ذلك أحدًا حتى نفسه، ولا أخلص محبِّيه وأصدقائه وإخوانه، ولا أقرانه في العلم من العلماء السلفيِّين؛ فلا يسمع حديثًا يرى أنه ضعيف إلا بيَّن ضعفه عنده، ولا يسمع رأيًا مخالفًا للحق إلا كتب عنه، ونبَّه عليه؛ نُصْحًا للعامَّة، وتنبيهًا للخاصَّة.

❑ وقد أنشأ بذلك حركة عظيمة للوعي الديني وتحرِّي الحق فيما يُكتب

ويُقال، لا عند طائفة خاصّة فقط، بل عند عامة العلماء الذين يُؤخذ عنهم أو يتتلمذ الناس على أيديهم؛ ولهذا قدَّمت طائفة كبيرة منهم كتبهم له لنقدها وتصحيح أحاديثها، وبذلك استفاد من هذا المنهج عموم المسلمين، فقلَّ استخدام الحديث الضعيف، وعظُم تحري الناس للحق، وابتدأ الناس فَهْم الدين بطريقة علمية مبنية على الدليل والبرهان، بعد أن كان أخذ الدين وتلقِّيه سائرًا بطريق التقليد والعشوائية، وضمِّ الصحيح إلى الضعيف، والشرك إلى التوحيد، وجمْع الهدى مع الضلالة والبدعة مع السنة.

❑ ولكن هذا المنهج النقدي العلمي الذي أخذ الشيخ نفسه به، أوجد لناصر الدين مجموعات كبيرة من الحاسدين، فمُجرَّد أن يرى أحدُ المتعالين أنه نُقِد في رأي له، أو استدلال خاطئ؛ إذا به ينقلب على الشيخ تجريحًا. وهكذا وُجِد الذين يقدِّمون آراءهم على قول اللَّه وقول رسوله.

❑ ولا شك أن هذه هي سنة اللَّه فيمن يصدع بالحق، والعجب أن ناصر الدين لا يأبه لذلك، فقد لازمتُه ثلاث سنوات؛ فوجدتُ أن مدْح الناس له ومذمَّتهم عنده سواء!! إنه فقط يرى أنه حامل دعوة، وصاحب حق يريد إبلاغه.. ولا نُزكِّيه على اللَّه ونحسبُه في ذلك كلِّه مخلصًا دينه للَّه، واللَّه أعلم بالسرائر».

❑ وللَّه در شيخ حلب: الشيخ محمد نسيب الرفاعي ـ رحمه اللَّه ـ حين يقول عن دُرَّة السنة وتاج الأثر ـ الألباني ـ: «الشيخ ناصر: أنفاسه أنفاس رسول اللَّه ﷺ، وهو صاحب فضل عليَّ». وإذا قال له معترض أو متلجلج: إن الشيخ ناصر يُحَسِّن ـ أو يصحِّح ـ اليوم ما يكون ضعَّفه بالأمس، والعكس. فيُجيب ـ رحمه اللَّه ـ مُخرسًا له ـ: «هذا من مناقب الشيخ ناصر وحسناته». رحمك اللَّه يا شيخ نسيب، لقد كنتَ ـ والذي

أماتك وأحياك ـ وقَّافًا عند أدب النبوة، «ويعرف لعالِمنَا حقَّه»[١].

*** للَّه در أم أوْحَدَتْ بناصر الدين الألباني:**

❑ قال الشيخ محمد إبراهيم شقرة: لو أن شهادات أهل العصر في شيوخ السنة وأعلام الحديث والأثر اجتمعت، ثم وضعت على منضدة تاريخ العلماء؛ فإني أحسب أن تكون شهادة صادقة في عَلَم الحديث الأوحد، أستاذ العلماء، وشيخ الفقهاء، ورأس المجتهدين في هذا الزمان: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أكرمه اللَّه في الدارين.

❑ كانت ساحةُ علم الحديث والسنة النبوية قد أجدبت، وصوَّح نَبْتُها، وجفَّت أغصانها واسَّاقطت أوراقها، وانقطع ثمرها، والناس من فوقها ينظرون يَمنةً ويَسرةً، علَّهم يرون فيها رجلاً يخلُف الأولين الغابرين، ممن أعلى اللَّه بهم منارة السنة النبوية، فتعود أبصارهم إليهم كليلةً حاسرةً، ليجدوا أمامهم ما خلَّف أولئك من كتبٍ مسطورة لمن وراءهم، أو لمن جاء من بعده، بذلوا فيها جهدًا ضخمًا في جمع الآثار والسنن والأحاديث، وترتيبها ترتيبًا حسنًا يُسهِّل على القارئ ـ العالم وطالب العلم ـ النظر إليها، والرجوع إليها عند الحاجة، على ما في بعض هذه الكتب من صعوبة في استخراج الآثار والأحاديث منها، وهذا أمرٌ لا يجهله طالب العلم، فضلاً عن العالم الباحث، والناظر المدقِّق.

❑ وكُتُب السُّنَّة، من صحاحٍ، وسنن، ومسانيد، وجوامع، ومصنَّفات، وأجزاء، على كثرتها وغزارة الجهد الذي بُذِل في تأليفها وتصنيفها وجمعها

---

(١) الشيخ محمد نسيب الرفاعي صفحة دعوية طُويت. لمحمد إبراهيم شقرة ـ مقال في مجلة الأصالة العدد الثالث (ص٢٨)، والمذكور قطعة من حديث حسن. رواه الحاكم وأحمد عن عبادة.

وتحقيقها، والاستدراك عليها، والزيادة على أصولها على مَرِّ العصور والأجيال ـ فقد ظلَّت بحاجة إلى تحقيقٍ دقيق، وإحاطةٍ أشمل وأوسع بأسانيد الآثار والسنن والأحاديث التي حُشِدت فيها؛ كي تصيرَ إلى حالٍ من الصحة، ويطمئن إليها الباحثُ وطالب العلم والعالم أكثر وأكثر.

❑ ولا ريب أن مثل هذا العمل ينوء بالعصبة أولي القوة والجلادة من أهل العلم، فأن يقيِّض اللَّه له رجلاً واحدًا، يجمع اللَّه به كل شاذَّةٍ وفاذَّة من فنون علم السنة؛ لنعمةٌ جليلة، ليس على الشيخ ناصر وحده، بل على الأمة كلها، فهنيئًا لأمَّةٍ أنبت اللَّه فيها هذا الشيخ الذي ألان اللَّه له الحديث كما ألان لداود الحديد، ومُهِّدت له أكناف السنة من جديد.

❑ ولعلَّ بعض من ابتُلي بشيءٍ من شهادات العصر من الجامعات والمعاهد، يردِّد مع القائلين قولهم: ما ترك السابقون للاحقين شيئًا، أو: ما ترك الأوَّلون للآخرين شيئًا.

قولوا ما شئتم، ولكن ماذا كان يُراد بهذا العلم العظيم ـ علم السنة ـ لو أنه ظل أمانة عند هؤلاء ـ وما أضيعها إذًا من أمانة ـ ولم يجد في عقل الشيخ ناصر وقلبه وقوة نفسه وثبات صبره واحتمال مثابرته ما وجد؟!

وكثيرٌ هم أولئك الذين يجعلون من الشيخ ـ أعزَّه اللَّه ـ غرضًا لسهام حسدهم وحقدهم، وتراهم يحومون حول مائدته حَوم المريب المفزع الذي يخشى أن يُبصر به من هو على شاكلته، يصنعون صنيع النفر من قريش، حين اتفقوا على أن يتفرَّقوا عن النبي ﷺ، وأن لا يُصغوا لقراءته من الليل، فلمَّا جنَّ الليل خرج كل منهم متسللاً، لائذًا بلباس الظلام، وهو يظن أن الآخرين لا يعرفونه.

❑ وحسبُ طالب العلم أن يُلِمَّ بأي كتاب من كتب الشيخ؛ ليرى رسوخ قدمه، وطول باعه، وسعة اطلاعه وكثرة استدراكه، ودِقَّة استقصائه،

وحُسن ترتيبه ونظمه، وتلاحُق حججه، وعُلو برهانه، وحضور ذهنه، وقوة عارضته، ونفاذ بصره، ووضوح بصيرته، وشدَّة تمكُّنه. ولكن كما يُقال: المعاصرة حرمان. غير أنها كلمة إن صَدقت في غير الشيخ، فهي قد نبت عنه ونأت، فأي حرمانٍ هذا الذي أراده إليه الشانئون الجاهلون، ومدرستُه قد امتدَّت أروقتُها حتى شملت آفاق الأرض، وصارت كتُبه في صَمتٍ مهيبٍ تحرِّرُ العقول من الخرافة والأساطير، والقلوب من الوهم والرَّيب، والنفوس من الغلِّ والكبرياء والحسد؛ في حكمةٍ بالغة، وبرهانٍ منير، وموعظةٍ تبلغ من النفوس مبلغًا يرفع عنها غشاوات الجهالة، ويردُّها إلى القرون الثلاثة المفضَّلة، ويشدُّها إلى وثاق الهدي النبوي الأمين.

ومن نظر في حياة الشيخ، وعرفه عن قرب؛ عَرف أنه من أولئك الأفذاذ. الذين قلما يجودُ الزمان بمثله[1].

* كلمة للشيخ مقبل بن هادي الوادعي:

❑ قال الشيخ مقبل عن الشيخ ناصر: «إن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه اللَّه تعالى ـ لا يُوجَد له نظير في علم الحديث، وقد نفع اللَّه بعلمه وكتبه أضعاف أضعاف ما يقوم به أُولئك المتحمِّسُون للإسلام على جهلٍ.. أصحاب الثورات والانقلابات.

❑ والذي أعتقده وأدين اللَّه به، أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه اللَّه ـ من المجدِّدين، الذين يصدُق عليهم قول الرسول ﷺ: «**إن اللَّه يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها أمر دينها**». رواه أبو داود، وصحَّحه العراقي وغيره.

❑ ولا يستغني طالب علم في هذا الزمن عن الاستفادة من كتب الشيخ

(١) «الألباني حياته وآثاره» (٢/ ٥٤٩ ـ ٥٥٢).

الألباني ـ حفظه اللَّه ـ وإني أنصح كلَّ طالب علم باقتنائها والاستفادة منها، فقد جمع الشيخ ـ حفظه اللَّه ـ فيها ما لا يُستطاع الوقوف على كلِّه، وتيسَّر له الاطلاع على كتب لم يطَّلع عليها كثير من طلبة العلم»[1].

* **إلى شانئي الشيخ غير المنصفين:**

ألم يُعِد الشيخ ناصر إلى الأذهان حُجِّيَّة السُّنَّة وفقهها، ووجوب الرجوع إليها، بعد أن نُبذت دهورًا؟!

ألم يخدم السنة خدمة تفوق خدمة مجامع البحوث العلمية مجتمعة وجمهرة من العلماء لو اشتغلوا؟!

ألم يحقِّق عددًا من المخطوطات النافعة، التي تلزم الأمة في نهضتها، بل تلزمها أولاً في عقيدتها ودينها؟!

ألم يوفِّق جميع المسلمين لمعرفة أحاديث الأحكام خاصَّةً، ودرجة الوثوق بكل حديث، وكيف يمكن الاحتجاج به؛ وطريقة الاحتجاج؟!

ألم يذبَّ عن السنة بجمع الأحاديث الموضوعة والضعيفة في ثلاثة عشر مجلدًا؛ كي يتجنَّبها العلماء الذين لم يعترفوا به، وجُلُّهم ممن لا يُميِّز بين غثٍّ وسمين؟!!

ثم أليس للشيخ ناصر أنصاره وأتباعه في كل العالم الإسلامي؟ وهل يدَّعي طالب علم أنه يستغني عن كتبه إلا إن كان أحمق أو مغرورًا؟!

أليس الرجل يدعو إلى عقيدة السلف، ويشرح ويُفصِّل ما أجمله البنا ـ رحمه اللَّه ـ من أن دعوته سلفية.

ثم إن الرجل يقول: إن الجهاد فرض عين، وإن المسلمين كلهم آثمون. على خلاف ما يُشاع من أنه يحارب الفكر الجهادي.

(١) «الألباني حياته وآثاره» (٢/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦).

* سنن أحياها الألباني:

١ ـ صلاة العيد في المصلَّى خارج البلد، هي السنة.

٢ ـ خطبة الحاجة، التي كان رسول اللَّه ﷺ يعلِّمها أصحابه.

٣ ـ آداب الزفاف في السنة المطهرة.

٤ ـ أحكام الجنائز وبدعها.

٥ ـ صحيح الكَلِم الطَّيب، والتعبُّد بالأدعية، والأذكار الصحيحة فقط.

٦ ـ وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والردِّ على شُبَه المخالفين.

٧ ـ كيفية أداء الصلاة كما أدَّاها رسول اللَّه ﷺ.

٨ ـ سنة «السلام على النبي في التشهُّد»، وصيغ التشهد.

* الألباني ودعوته:

تُوضع دائمًا في كتب الشيخ ورسائله القواعد الخمس لدعوته:

١ ـ الرجوع إلى الكتاب الكريم والسنة الصحيحة، وفهمها على النهج الذي كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم.

٢ ـ تعريف المسلمين بدينهم الحق، ودعوتهم إلى العمل بتعاليمه وأحكامه، والتَّحلِّي بفضائله وآدابه التي تكفُل لهم رضوان اللَّه، وتحقِّق لهم السعادة والمجد.

٣ ـ تحذير المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره، ومن البدع والأفكار الدخيلة، أو الأحاديث المنكرة والموضوعة؛ التي شوهت جمال الإسلام وحالت دون تقدُّم المسلمين.

٤ ـ إحياء التفكير الإسلامي الحر في حدود القواعد الإسلامية، وإزالة الجمود الفكري الذي ران على عقول كثير من المسلمين، وأبعدهم عن منهل

الإسلام الصافي.

٥ ـ السعي نحو استئناف حياة إسلامية، وإنشاء مجتمع إسلامي، وتطبيق حكم اللَّه في الأرض.

*** الشيخ الألباني رائد التصفية والتربية؛ الطريق الرشيد لبناء الكيان الإسلامي:**

❑ يقول الشيخ الألباني: «أقول وأخصُّ به المسلمين الثقات، المتمثِّلين في الشباب الواعي، الذي عرف أولاً مأساة المسلمين، واهتمَّ ثانيًا بالبحث الصادق عن الخلاص وبكل ما أُوتيه من قوة.. بينما الملايين من المسلمين مسلمون بحكم الواقع الجغرافي أو في تذكرة النفوس[1] .. فهؤلاء لا أعنيهم بالحديث، أعود فأقول: إن الخلاص على أيدي هؤلاء الشباب يتمثَّل في أمرين لا ثالث لهما؛ التصفية والتربية.

التصفية: وأعني بالتصفية: تقديم الإسلام إلى الشباب المسلم مصفًّى من كل ما دخل فيه على مرِّ هذه القرون والسنين الطوال؛ من العقائد ومن الخرافات ومن البدع والضلالات، ومن ذلك ما دخل فيه من أحاديث غير صحيحة قد تكون موضوعة، فلا بد من تحقيق هذه التصفية؛ لأنه بغيرها لا مجال أبدًا لتحقيق أمنية هؤلاء المسلمين، الذين نعتبرهم من المصطفين المختارين في العالم الإسلامي الواسع.

❑ فالتصفية هذه إنما يُراد بها تقديم العلاج الذي هو الإسلام، الذي عالج ما يشبه هذه المشكلة، حينما كان العرب أذلاء وكانوا يُستعبدون من فارس والروم والحبشة من جهة، وكانوا يعبدون غير اللَّه تبارك وتعالى من

(١) الجنسية أبو البطاقة أو شهادة الميلاد.

جهة أخرى.

▣ نحن نخالف كل الجماعات الإسلامية في هذه القضية، ونرى أنه لا بد من البدء بالتصفية والتربية معًا، أما أن نبدأ بالأمور السياسية، والذين يشتغلون بالسياسة قد تكون عقائدهم خرابًا يبابًا، وقد يكون سلوكهم من الناحية الإسلامية بعيدًا عن الشريعة، والذين يشتغلون بتكتيل الناس وتجميعهم على كلمة «الإسلام» عامة، ليس لهم مفاهيم واضحة في أذهان هؤلاء المتكتِّلين حول أولئك الدعاة، ومن ثَمَّ ليس لهذا الإسلام أي أثر في منطلقهم في حياتهم، ولهذا تجد كثيرًا من هؤلاء وهؤلاء لا يحقِّقون الإسلام في ذوات أنفسهم، فيما يمكنُهم أن يطبِّقوه بكل سهولة. وفي الوقت نفسه يرفع هؤلاء أصواتهم بأنه لا حكم إلا للَّه، ولا بد أن يكون الحكم بما أنزل اللَّه؛ وهذه كلمة حقٍّ، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه.

▣ العلة الأولى الكبرى: بُعْدهم عن فهْم الإسلام فهمًا صحيحًا، كيف لا وفي الدعاة اليوم من يعتبر السلفيين بأنهم يضيِّعون عمرهم في التوحيد، ويا سبحان اللَّه، ما أشد إغراق من يقول مثل هذا الكلام في الجهل؛ لأنه يتغافل ـ إن لم يكن غافلاً حقًّا ـ عن أن دعوة الأنبياء والرسل الكرام كانت ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. بل إن نوحًا عليه الصلاة والسلام أقام ألف سنة إلا خمسين عامًا، لا يصلح ولا يشرع، ولا يقيم سياسة، بل: يا قوم اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت.

هل كان هناك إصلاح؟ هل هناك تشريع؟! هل هناك سياسة؟ لا شيء، تعالوا يا قوم اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت، فهذا أول رسول ـ بنص الحديث الصحيح ـ أرسل إلى الأرض، استمرَّ في الدعوة ألف سنة إلا خمسين عامًا لا يدعو إلا إلى التوحيد، وهو شغل السلفيين الشاغل، فكيف يُسفُّ كثير من الدعاة الإسلاميين وينحطُّوا إلى درجة أن ينكروا ذلك على السلفيين.

التربية: والشطر الثاني من هذه الكلمة يعني أنه لا بد من تربية المسلمين اليوم، تربية على أساس ألا يُفتنوا كما فُتِن الذين من قبلهم بالدنيا. ويقول الرسول ﷺ: «**ما الفقرَ أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تُفتح عليكم زهرة الحياة الدنيا، فتهلككم كما أهلكت الذين من قبلكم**».

ولهذا نرى أنه قلَّ من ينتبه لهذا المرض فيربي الشباب، لا سيما الشباب الذين فتح اللَّه عليهم كنوز الأرض، وأغرقهم في خيراته ـ تبارك وتعالى ـ وفي بركات الأرض، قلَّما يُنبَّه إلى هذا. مرض يجب على المسلمين أن يتحصَّنوا منه، وأن لا يصل إلى قلوبهم «حب الدنيا وكراهة الموت»، إذًا فهذا مرض لا بد من معالجته، وتربية الناس على أن يَتخلصوا منه.

● الحل وارد في ختام حديث الرسول ﷺ: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**». الحل يتمثَّل في العودة الصحيحة إلى الإسلام، الإسلام بالمفهوم الصحيح الذي كان عليه رسول اللَّه ﷺ وصحابته.

* قال تعالى: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ**﴾ [محمد: ٧]، وهي التي أجمع المفسرون على أنَّ معنى نصر اللَّه: إنما هو بالعمل بأحكامه، فإذا كان نصر اللَّه لا يتحقق إلا بإقامة أحكامه، فكيف يمكننا أن ندخل في الجهاد عمليًّا ونحن لم ننصر اللَّه؛ عقيدتنا خراب يباب، وأخلاقنا تتماشى مع الفساد، لا بد إذًا قبل الشروع بالجهاد من تصحيح العقيدة وتربية النفس، وعلى محاربة كل غفلة أو تغافُل، وكلِّ خلافٍ أو تنازع؛ ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [الأنفال: ٤٦]، وحين نقضي على هذا التنازع وعلى هذه الغفلة، ونُحلُّ محلهما الصحوة والائتلاف والاتفاق؛ نتجه إلى تحقيق القوة المادية ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾ [الأنفال: ٦٠].

أخلاق المسلمين في التربية خراب يباب، أخطاء قاتلة، ولا بد من

التصفية والتربية والعودة الصحيحة إلى الإسلام، وكم يعجبني في هذا المقام قول أحد الدعاة الإسلاميين ـ من غير السلفيين، ولكن أصحابه لا يعملون بهذا القول ـ: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم دولته في أرضكم».. إن أكثر الدعاة المسلمين يخطئون حين يغفلون مبدأنا هذا، وحين يقولون: إن الوقت ليس وقت التصفية والتربية، وإنما هو وقت التكتُّل والتجمُّع.. إذ كيف يتحقَّق التكتُّل والخلاف قائم في الأصول والفروع.. إنه الضعف والتخلُّف الذي استشرى في المسلمين.. ودواؤه الوحيد يتلخَّص فيما أسلفتُ في العودة السليمة إلى الإسلام الصحيح، أو في تطبيق منهجنا في التصفية والتربية، ولعلَّ في هذا القدر كفاية. والحمد للَّه رب العالمين»[1].

● **«إنما الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة»**[2]:

هذا الحديث تصوير صحيح لواقعنا المر.. الذي نهدت فيه رغائب الأمة في شعاب التفرُّق والأهواء، واستطالت فيه آراء العقول من غير هدًى ولا كتاب منير، واعتسفت فيه مائدات السوء بالناس إلى سراب بِقيعَة، فصاروا إلى ضياعٍ في الحق، وإقلالٍ في الورع، وتكاثرٍ من الباطل، فأضحوا كما قال عليه الصلاة والسلام: «**كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة**».

❑ والشيخ الألباني ـ حفظه اللَّه ـ في زماننا هذا ـ راحلة علم عالية السَّنَام، تامّة الخلق، متماسكة البناء، تغدو إليها رواحل العلم خِفافًا خماصًا، وتروح عنها ثقالاً بطانًا؛ فقد أنعم اللَّه عليه بعلم أوثَقَه إلى القرون الأولى، وأقامه على جادتها، وأراه فيها من آيات العلم الكبرى، وما نيل من الشيخ إلا بسبب الحسد.

---

(١) «الألباني حياته وآثاره» (١/ ٣٧٧ ـ ٣٩١).

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر.

لم ير أشياخ العصر فسطاط علم الشيخ يمتدُّ كلَّ يوم، ويأوي إليه الألوف من المسلمين، الذين استنارت بصائرهم بنور الحق وهُدوا إلى سواء القصد، حين ألهموا أن ينهلوا من علم الشيخ في كتبه ورسائله وتسجيلاته من بعيد ومن قريب. في حين أن «المشايخ» و«الأشياخ» و«الشيخة» و«المشيوخاء» يُصرُّون على عداوته، والطعن عليه، وتجريحه، والقول فيه ما لم يقله أهل الجاهلية الأولى! وإنها ـ واللَّه ـ الفتنة؛ فتنة النفس الأمارة، القرَّارة، الجرَّارة، البوّارة، الموَّارة!!

إنها أمشاج العلم تتهارش في ردخة خلائف التعصب من بعد المنارات التي علت في سماء القرون وضوأت آفاق الحياة، وأقبلت إليها ركائب طلاب المعرفة من كل الأقطار، تنهل من معينها الثر الصافي.

نسأل المشيوخاء والدكاتير: هل أحسنوا صنعًا في أنفسهم حين هاجت هائجتهم، وخرخرت أصواتهم، وتسعرت لهواتهم، ورقصت قلوبهم، وكتبوا في الصحف التي لا تزيد أعلاها أن تكون أقل من «خضراء الدمن» تحمل لواء الولاء لكل صاحب بلاء كحاطب الليلة الظلماء.

نسأل كل من تدثر بخيالات الأطفال السذج، بسوء أدب، وكزوزة وجه، وبلادة حس، وقماءة رجولة، وركاكة دين، وفهاهة لسان، وخيلاء مجانين، وكبرياء صاغرين، وحقارة حاسدين: ما تنقمون على من يضع على منكبيه رداء علوم السنة، فيكون الإمام المقدم في عصر أجدبت فيه الأرض من مثله وأبت ـ حتى على نفسها بإذن ربها ـ أن يكون له ند إلا نفسه؟! فما رأت عيون المنصفين في عصره مثله، وإن كره الشانئون، وخارت أصواتهم، وبرمت بهم نفوسهم، من غل أثقلها ومن حسدٍ أقعدها، ومن روغانٍ عن الحق أبعدها.

لقد أعاد حفظه اللَّه عيبة العلم ملأى بصدق رغبته، وجلادة نفسه،

وثقوب بصره، وطول معاناته، وعزمه أن تعود سنة الرسول ﷺ إلى الظهور من جديد في الأمة؛ لتكون موئل العلماء وطلاب العلم، ومربد العقول، ومزدحم العزائم، ودارة الحق والهدى.

لقد ـ واللَّه ـ أذكر علم الشيخ بعلم السابقين، ولو كان في زمانهم لعرفوا له قدره.

ويكفي الشيخ نصرة من ربه، أن نصبه لنشر راية سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وكسر شوكة البدعة، والكشف عن زيوف دهاقنة العجم، وفضح خروج المعتزلة، والإبانة عن عورات أنصار العقائد الفاسدة، وجهالات سمان الإفك والضلالة.

ويكفي الشيخ نُصرة من ربه، أنه إذا ذكر الكتاب والسنة؛ فقد أعلى اللَّه في الأرض ذكره، وصيّره أمينًا حافظًا لأسانيد الأخبار ومتون السنن، ومكّنه من فقهها ما لم يمكن إلا للقلائل في عصره، وآتاه من علومها ما لم يؤتِ أحدًا.

*** إمام العصر.. شيخ الفقهاء.. إمام أهل السنة.. الذاب عن عقيدة السلف فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ:**

لله در الدكتور الزهراني وهو يشدو ببازيته في بعض فضائل سيدنا الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ:

يا من رأى مثله أو من يضارعه ... فليأت بين الملا يزري بأقوالي

يا رائد العلم في هذا الزمان ويا ... مجدد العصر في علم وأعمال

وحاتم في عطاياه وجودته ... في بحركم لا يساوي عشر مثقال

في الجود مدرسة، في البذل مملكة ... في العلم نابغة، أستاذ أجيال